حـــــوارات

القـــاص والـــروائـــي مـحـيـي الاشـيـقـر:

المنفى: الوطن عندما يستحيل أو يحذف معناه

حاوره: مازن لطيف

" ما يحاول فعله المبدع العراقي في شتى الحقول هو امربالغ الصعوبة ولا سابق له،وهو امتداد لعسرعموم الواقعة العراقية وسط كل هذه التصدعات والأهوال والمخاطر السياسية والأجتماعية.إن تجربة الإستبداد وحدها بلوى؛فما بالك بتجارب الحروب والإحتلال،تجارب الابادة والموت والقتل الجماعي، تجارب الانفتاح الاجتماعي وما اعقبها من نكوص،تجارب الإنقسام والإحتراب السياسي المتواصلة منذ نصف قرن، تجارب المنافي والهجرات الاختيارية والقسرية،وتجارب المعارضة والعصيانات المسلحة والمدنية وتنوع بيئاتها...؟".هذا بعض مايشير إليه الروائي العراقي محيي الاشيقر،في الحوارالتالي الذي اجرته معه جريدة المدى بمناسبة صدور كتابه الجديد (سوسن أبيض) عن دارشرقيات في القاهرة هذا العام. له ايضا:(أصوات محذوفة)- قصص١٩٩٣،(ضريح الصمت)- قصص، كتاب مشترك ١٩٩٤، (كان هناك) - رواية ١٩٩٧.وكما تعرض الكاتب في اشغاله ونصوصه السابقة الى جزء من يوميات تجربة العراقي في لبنان وسوريا وعالم الثورة الفلسطينية، يتناول في كتابه (سوسن ابيض) الجزء الآخرالمرتبط بتجربة حياة المنفيين العراقيين وغيرهم في السويد،حيث يمتد نزف هجراتهم القسرية لعقود خلت.

■إن القارئ والباحث يهتم أحيانا بالتفاصيل الجزئية، وخصوصا كل ما له علاقة بتاريخه... من هو محيي الاشيقر؟

– كنت أظن أنك ستتكفل بهذه المهمة، مهمة التعريف، كي تسهل الامر على القارئ أولاً ولكي تعفينا معاً من أي تفصيل غير مستحب. سألبي جزءا مما يتطلبه السؤال في سياق التعرض للشأن العام الذي يتضمن ما هو خاص،بعيدا عن اغواء السؤال.

انا ابن آدم عراقي، وهبتني أسرة متوسطة الحال لزمن كربلائي حي، ولفضاء عراقي مضطرب لا مثيل لجماله وسخطه وتاريخ خسائره وانجازاته. وككل الذين ولدوا في النصف الأول من عقد الخمسينيات الملكي ممن نضجت أرواحهم وعقولهم وذاكراتهم على ثراء وغليان وهزائم الستينيات... دخلنا السبعينيات بباقة هموم وآراء وأهواء وآمال ابداعية وسياسية، لم يكن من السهل اختبارها وتظهيرها، في اللحظة عينها التي كان يجري فيها وضع الأسس الجهنمية لبناء نظام استبدادي شديد القسوة والتخلف يرفل بثروة النفط وينعم بتضامن ومساندة اليسار واليمين،عراقيا وعربيا وعالميا،الا بمقادير حقيقية من الوعي والجَلد لتحمل أعباء مناهضة تلك اللحظة وذلك المشهد على صُعد الحياة والمعرفة وعموم التجربة،حتى الآن. والجَلد هنا،أي الصبر على المكروه والأذى،ليس بالأمر المحمود، لكننا وبسبب من اخلاصنا لبعض من أوهامنا الدارجة في السياسة والاجتماع والتربية أعلينا من معناه وقيمته الى مستوىالفضيلة حيث كانوا " يعلموننا منذ الطفولة أن نتحمل الهزائم بعزة"بتعبير اوكتافيو باث.

درست المسرح في جامعة بغداد في أوائل السبعينيات. يومها كان يجري قبول المتقدم للدراسة على أساس الإختبار؛ تاليا اغلقت الا لمن يكون موالياً لمؤسسات واجهزة النظام السياسي الحاكم ولأسباب تخص (أساطير) ذلك النظام الذي كان يضيق ذرعا بأي مخلوق يحاول التنفس أوالحياة خارج جدرانه وأوثانه.ومن بين خرافات تلك العشرية،السبعينيات،مثلا،ان كتابا بعنوان(علم الجمال البعثي) لشخص يدعى الياس فرح ينزل في مكتبات العراق؛ تصور!

أين، ولمن؟ في المكتبة العراقية وللمشارع الثقافي العراقي!! تخيل ممن يغارون،أو يقلدون من على وجه اصح؟ الكراريس الستالينية؛ ولكَ أن تتخيل نوع الذائقة والمفاهيم والثقافة التي كان يراد لها أن تسود وتتأبد.أنا هنا أتيت على ذكر(أحسن) ما عندهم وهم في ذروة "تقدميتهم وثوريتهم" مثلما كانوا يصفون أنفسهم برفقة غير قليل من الآخرين ممن كانوا يخلعون عليهم المزايا والصفات ذاتها.

بعد التخرج عملت في حقل التعليم(إلزاما)، في معرض اقصاء كل من هو غير بعثي عن المؤسسات ذات الصلة بمن يكمل تحصيله العلمي في أحد اقسام اكاديمية الفنون؛ وهو ما لم أشعر بفداحته،لا بل أشعر بالإشمئزاز لأنني كنت على قيد الحياة إبان تلك العشرية.

وبمناسبة الكلام عن السبعينيات، ثمة اعتقاد دارج، يفيد: إن تلك العشرية هي حقبة ازدهار لبعض الجوانب والتجارب الأبداعية والاجتماعية. وهذا توصيف غير دقيق في حدود ما أظن. فما انجز في عموم الحقول يومذاك كان بمثابة آخر ترددات نهضة ورحابة المشهد الثقافي والإجتماعي الملكي ومعها جُزُر الإستراحات القصيرة في الستينيات،وما عدا ذلك فقد مَهد ذلك العقد – السبعينيات . بأساليب مختلفة وشنيعة وعلى يد الحياةالسياسية والثقافية(المؤممة) لكل المشهد الفج والعدواني والقاحل... الذي سيرتديه العراق، كزيّ موحد، على مدى حياة النظام الفارط وصولا لما يسمى بسقوطه أوانهياره. والقراءة هذه ازعم بسريان مفعولها حتى اللحظة الراهنة ؛فما حدث ويحدث في خمسة الأعوام الأخيرة من انسداد آفاق المشروع الإنساني والمعرفي والإبداعي هو: من موجات (تسونامي) تخلف وتسلط وهستيريا الحقبة البشعة السابقة،بالاضافة إلى (ابتكارات) العرض السياسي الجديد. لبعض من ذلك قد تندهش اذا ما قلت لك: ينتابني بين آن وآخراحساس ان النظام الفارط لم يسقط، فالكثير من تعبيراته ورمزياته وآليات عمله سارية المفعول ومرغوبة لكن بصياغات وتعديلات ومسميات أخرى؛ وما سقط هو شيء من قبيل غياب بعض الوجوه والاسماء.

في أوائل عام١٩٧٩ غادرت العراق بسبب من تفاقم (أعراض) السلطة، في التضييق والملاحقة والتبعيث...، باتجاه لبنان المبتلي بالحرب الأهلية. في لبنان كانت التجربة ضارية وغنية. فيها تماهت فرص الموت مع فرص البقاء، ومشاريع الكتابة والحياة مع المشهد السياسي المعارض. ولهذه الحقبة اكثر من معنى وتفصيل في مجال تتبع سيرة الحياة الثقافية والسياسية العراقية المنفية والمطارَدة بما لها وعليها.

تذكّر: إن معارضة نظام متسلط كنظام صدام أمر شبيه بمناهضة نظام ستالين أو فرانكو أو بول بوت أوأي نظام عقائدي ديني أوعسكري أومدني، وربما أقسى واشرس من حيث العواقب المترتبة إن على الشخص أو على ما تبقى له من أهل وعلاقات. وتذكّر: إن مناهضة نظام إبان وجود ديكتاتوره وصعود نجمه وأنت مكشوف الوجه والاسم امر فادح،لا يمكن مقارنته بزمن ضعفه وافوله. يومها لم تكن التكنولوجيا قد بسطت سلطتها، كما اليوم (من شبكة انترنيت وبث فضائي شخصي وعام..) حيث كل شيء ملء البصر والسمع الى الحد الذي فاضت بركاتها وشملت القتلة والطغاة والمرتزقة حتى! أنا هنا لا أتباهى بشيء الاّ بقدر تعلق الأمر بشقاء التجربة التي عشنا... والتي كانت امتدادا لمحنة وعَناء من تبقى في البلاد وهو يعاند ويناهض اشرس الجلاوزة، "جلاوزة السيف والقلم" حَسب واحد العراقيين الدكتور علي الوردي.

لبعض من ذلك، كانت الكتابة والحياة تنطويان على مشكلات لاأول لها... وآخرها كيفية الحفاظ على السوية الجمالية والإنسانية ونحن نحاول وعي وتمثّل شقاء وخراب تلك الحقبة، الحقبة التي كان فيها العراق وابناؤه يسبحون بدمائهم في اتون مذابح وحروب السلطة وقوانينها الجائرة التي لم يسلم منها البعثيون أنفسهم،وسط كرنفالات سمجة بل منحطة ساهم في احيائها غير قليل من أهل الثقافة والسياسة في العراق والعالم العربي على السواء.

في ذلك الوقت عملت في الصحافة الفلسطينية. شاركت في الحياة الثقافية العربية الناشطة كحال غيري من العراقيين لإيصال رسالة أهل العراق،رسالة فواجعهم وعذاباتهم. نشرت نصوصا سردية ومراجعات وحوارات في الصحافة الثقافية والسياسية.في نهاية عام ١٩٩٠ غادرت باتجاه شمال أوروبا بعد أن ضاقت بنا السبل، سبل الحرية والحياة.

وفي تذكار العمل في الصحافة الفلسطينية، من الواجب الإشارة الى أن الثورة الفلسطينية بمختلف أجنحتها،الراديكالية منها والمحافظة، قدمت الكثير والنبيل من أسباب الحياة والأمن للعراقيين المهددين بما لا يحصى من المخاطر وأولها استهدافات النظام.التغافل أو نسيان بعض أو كل ذلك يطفئ ضوء أحد فنارات تاريخ تضحيات العراقيين بعموم تلاوينهم من أجل القضية الفلسطينية ولا يتناسب مع عدالة وصدقية حقوق الشعب الفلسطيني بمجملها. والتذكار... والتحية ذاتها مهداة لأهل لبنان وثقافته ومبدعيه،وللناس في سوريا ولمبدعيها.

■ أحدث المنفى تغييرات كبيرة في حياة الانسان العراقي قد تكون مسببة ومهددة للإحساس بالهوية وقد اختار العديد من المثقفين العراقيين الرحيل من العراق بسبب الظروف القهرية التي تعرضت لها البلاد... ما تأثير المنفى عليك؟

– من المفارقات المدهشة التي رافقت سيرة العراق واهله،ان هذا الوطن،أي العراق، كان على الدوام – خاصة إبان حقب ازدهاره واستقراره المديدة أوالخاطفة – موئلا وضفة آمنة لموجات اللاجئين والفارين والباحثين عن فرص النجاة بأرواحهم وعقولهم وأرزاقهم. تقابل ذلك مفارقة ثانية تتمثل بتشبث العراقي بمكانه وهلعه من فكرة السفر والمغادرة حتى في أشد حقب التسلط العثماني وما شاكلها.الا ان ما فعله النظام الفارط كان شيئا لا مثيل له، بصماته وآثاره مرئية حتى اليوم...فمن يفتك بالناس ويحتال عليهم بالشعارات وينهب ثرواتهم ويحجر على عقولهم ويفسد حياتهم ويقصي كل ماهو حي وجميل ومفرح،هو ابن شرعي لذلك الزمن،زمن الإستبداد، ومرجعيته السلوكية والذهنية والروحية تمتد لكل ردئ خمسة العقود الفائتة؛عقود ثقافة الأوكار السرية وعسكرة الحياة وغياب المجتمع الأهلي والاستهانة بقيمة الإنسان الفرد.

وفي العودة الى ابن خلدون يمكن التقاط الكثير مما يترتب على القهر والعسف. فأبواب ومسالك الكذب والكسل والخديعة وفساد جوهر الإنسان...، كلها تنفتح بلا حواجز. وبعدها أظن أن درب المنفى سيكون مرغوباً ووجهة قسرية!

إلى ذلك يمكن القول إن المنفى يعني: الوطن عندما يستحيل أو ينحذف معناه،لكن بخسائر أقل. كيف، لا أدري!؟ وهو،المنفى،معنى الموت الذي نختاره لكن بعد تمرين طويل على الغياب والخسارة واليقين من الفقدان.المنفى لا يؤثر فحسب،بل هو أثر...،تقصيه والمشي في مدن وشوارع شقائه يقود تاليا الى الوطن؛ متى؟ بعد موت المخلوق ؛ لماذا؟ لأن الوطن يعني المثوى والمأوى.

اذهب وطالع اسماء أهل الثقافة والابداع من العراقيين على مدى العقود الثلاثة الاخيرة وسترى أي سجل مضيء هذا الذي ضم جمهرة من ألطف واشجع وأحلى البشر بما قدموا؛ لكن الغالبية منهم لم يظفروا لا بالمثوى ولا بالمأوى،بل كان المنفى هوالمثابر؛ وهو من فاز بهم وعليهم!

ثمة شذرة لإمام البلاغة والتقوى،علي ابن ابي طالب عليه السلام، بمقدورها احيانا ان تُثبت فؤاد المنفي أوالغريب أوالاجيء أوالمهاجر،وتزيح الكثير من أسباب كربه،على الأقل بالنسبة لي، يقول فيها: "ليسَ بلدٌ بأحقَّ بكَ من بلد،خيرُالبلاد ما حَمَلكَ". لذا يمكنني القَول إن الوَطن والمنفى، كلاهما، يتماهى قاب قوسين من هذه الرؤية المضيئة والمدهشة،كلما دهمتني محنة فقداني للمكان الأول منذ ثلاثة عقود ولكل ما ترتب على هذا الإختيار.

■ تعرضت الثقافة في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين الى مد وجزر، فهل هناك فترة(ذهبية) لانتعاش الثقافة العراقية؟

– لاأجيء بالجديد ولا ادري كم سيخالفني الصواب، عندما اقول لك إن أكثر الفترات الذهبية لانتعاش الحياة عموما ومن ضمنها الحياة الثقافية هي فترة العهد الملكي بما (وصلنا) من معارف ومساهمات وتجارب وبما ربحته الحياة الثقافية والأكاديمية من اعلام وأسماء لا نظير لها، لا بل إن البعض منهم كما لو انقطع نسله من حيث المنهج والمساهمة والإخلاص للتجربة مع تجفيف وتمحّل بيئة العراق من كل عناصر الانفتاح والتسامح والشغف بالدرس الإنساني. نعم الدرس الإنساني قبل الدرس التقني، والدرس الأقتصادي. هناك من يأخذ على تلك الحقبةالكثير، لابأس، لكن قل لي كم هو عدد ضحايا العسف السياسي؟ وكم هو عدد الذين مشوا الى المنافي وماتوا كمدا؟ وما مناخ الدراسة الجامعية؟ وقل لي،أي فضاء ثقافي واجتماعي وتربوي... ذلك الذي أهدى لنا:علي الوردي، وطه باقر، وجواد علي،وشاكر مصطفى سليم، وعطا عبد الوهاب، وكامل مصطفي الشيبي، وحافظ الدروبي، وجميل بشير، ومحمد مكية، وابراهيم جلال، وكاظم حيدر، ومحمد سلمان حسن، وجعفر علي، وصلاح خالص،ومهدي المخزومي، ومحمود البريكان، وجميل نصيف التكريتي، وعبد الملك نوري...؟هؤلاء هم عينة من كوكب اسمه العراق، تأهلوا وحصلوا علومهم خارج سطوة مفاهيم وعقائد الإكراه أوالولاء وتتلمذ عند بعضهم غير جيل؛ تأكد انني لم اقصد هذه الاسماء حصراً؛ فمثلها كثير لا متسع لذكرها جميعا،لكن هؤلاء المبدعين ينهمرون بحنان وبطولة المطر.إقرأ (صورة أب) لرفعة الجادرجي،و(شارع الأميرات) لجبرا ابراهيم جبرا وأوراق ومدونات غيرهم وستعرف كم خسرنا مع توضّع تجارب المؤسسة العسكرية وسيادة الاتجاهات الشعبوية واخيرامع "هلهولة"الدم... للحزب الواحد.

■لقد عاصرأهل العراق،الحاكم القادم من الثكنة،وابن البيئة المهمشة، ومن يرطن بالشعارات،والمدعي بالتقوى،ومن يتمثل دور تلك الشخصية التاريخية أوالماشي على درب ذلك البطل أوهذا الإمام...،حتى الآن. ما النتيجة؟

– الثقافة ياصديقي تنتعش عندما يتوفرمخلوق يحب العراق ولو (بقليل) من المروءة، بقليل من الشجاعة،بقليل من احترام الآخر، بقليل من الأمانة، بقليل من معرفة نفسه،وبقليل من الحياء! القليل، نعم،لأننا شبعنا من كذب وهراء وكاريزما (الكثير).

وعلى ذكر الكاريزما التي هي الجاذبية بمعناها الشائع،انظر للتوصل التالي الذي يقدمه الباحث اللبناني د.غسان سلامة .هو واحد من الملمين بالتجربة السياسية والاجتماعية العراقية. في تعريفه لهذا المفهوم: "إن الكاريزما(أي الهالة الممزوجة حباً واحتراما وإعجابا والمحيطة بالرجل العظيم أو الذي يُعتقد أنه أقدم على أمور عظيمة) مكوّن مهم للشرعية في المجتمعات غير القائمة على أسس تامة من العقلانية". والمعنى في قلب قادة العراق الكُثر،من القدامى والجدد.

■ ما انطباعك إزاء الرواية العراقية وكيف تقيمون واقع الراوية العراقية في المرحلة الراهنة؟

– ما يحاول فعله المبدع العراقي في شتى الحقول هو امربالغ الصعوبة ولا سابق له،وهو امتداد لعسرعموم الواقعة العراقية وسط كل هذه التصدعات والأهوال والمخاطر السياسية والأجتماعية. إن تجربة الإستبداد وحدها بلوى.فما بالك بتجارب الحروب والإحتلال،تجارب الابادة والموت والقتل الجماعي، تجارب الانفتاح الاجتماعي وما اعقبها من نكوص،تجارب الإنقسام والإحتراب السياسي المتواصلة منذ نصف قرن، تجارب المنافي والهجرات الاختيارية والقسرية،وتجارب المعارضة والعصيانات المسلحة والمدنية و تنوع بيئآتها...؟

يعتقد البعض أن الذي حدث ويحدث في العراق هو بمثابة ذخيرة وحراك... سيدفع بالرواية وبالابداع عموما الى مساحات جديدة،وثمة من يذهب إلى أن التجربة العراقية ستقول نفسها بعد انقشاع المشهد المرير الراهن. وهنا يتبادر للذهن السؤال التالي،هل أن ما تعرض له المجتمع العراقي في الفائت من التجربة يؤشر الى صواب مثل ذلك؟!

احسب أن تدافع كل هذا الشقاء والمرارات والنوازل لا يتيح متسعا للوقوف على أي من تلك الوقائع ووضع الاولوية لها،وان الأمرأبعد وأشمل من معنى تراكم الوقائع والأحداث والفواجع وحدها،ويمتد إلى يوميات وتفاصيل وأبعاد أخرى تخص تطورالمعرفة وبنية المجتمع وحياة الفرد.

كل ذلك لا يمنع من القول إن أعمالا روائية لافتة ومتنوعة وجديدة انجزت على يد مختلف الأجيال في داخل العراق وخارجه، لكنها هل تتناسب مع كل هذا الذي ضرب روح وبدن التجربة العراقية على مدى نصف القرن الأخير؟ لا ازعم انني على اطلاع على كل ما كتب ويكتب،ونشروينشر. وللإجابة على سؤالك وعلى غيره من الأسئلة نحن بحاجة الى مراجعات الدارسين والمشتغلين في حقول البحث النقدي وتاريخ الأدب وغيرها من المجالات؛والشكوى السائدة والقديمة بشان غياب النقد هي شكوى دقيقة وتتسع لمجمل الإنجازالعراقي بعيدا عن الخصومات أو الولاءات المتوطنة.

تلويحة المدى

الرفعة في لغة السجال الثقافي

شاكر لعيبي

مرات عديدة انحرف السجال المرتبط بحقول الثقافة المتخصّصة إلى مسار لا يليق بالمعرفة. وأول ما يمكن أن يقع عليه المرء من انحرافاتٍ السجال، عربياً، الذهاب إلى نقد الشخوص وليس أعمالهم الإبداعية موضوع السجال، انطلاقاً من تصورات برّانية أو انطباعات شخصية عنهم. ينحرف الحوار ويتشنج ويصير شخص المُبْدع، وليس ما أنجزه من عمل، موضوعاً للتهمة والشبهة والريبة. بينما يرتبط ثانيها بشطط الأسلوب العنيف بين المتحاورين.

ولكي نبقى في مثال يصلح دليلاً على انحراف السجالات عن المعارف، لنأخذ المثال الأخير التالي: فقد نشرت الكاتبة التونسية آسية السخيري ترجمة لمقالة الشاعر الفرنسي برنار نويل تحت عنوان "الحرمان من الإدراك La privation de sens". يمكن لدارس للإنكليزية إدراك المشكلة الدقيقة الواقعة في تأويلها لكلمة (sens) الفرنسية لأنها موجودة بالإنكليزية (sense). لقد اجتهدتْ، انطلاقاً من معارفها وذائقتها وقراءاتها، في ترجمتها بـ (الإدراك)، في حين أن المفردة عينها تُترجم غالباً (بالمعنى) حتى في سياق المادة التي اشتغلتْ عليها.

سبق للشاعر محمد بنيس أن قام بترجمة مقالة برنار نويل نفسها بعنوان (الحرمان من المعنى). كلا الترجمتين مدعاة للتأمل، ولا خللَ جسيماً فيهما يدفع لاتهام بنيس أو السخيري، أو تقديم مديح مجاني لهما. المفردة تدفع بالأحرى لإثارة الأسئلة عن المعرفة في نطاقها الضيق، وحدود التأويل وإمكاناته الواسعة في أثناء عمل المترجم.

غير أن السجال حول هذه المفردة الصغيرة المألوفة، أخذ فجأة بعداً دراماتيكياً. فقد كتب بعضهم يقول أن ترجمة السيدة المذكورة"جاءت متسرعة تتخللها بعض الثّقوب، من ذلك أنها تترجم مصطلح Le sens بالحرمان وليس المعنى". فردت بالقول: "يبدو أنك يا سيدي على جهل فاجع باللغة الفرنسية لذلك فإن تصويبك مدعاة للشفقة. كلمة privation هي التي تعني الحرمان أو الفقدان في العنوان وليس كلمة sens كما تبادر إلى ذهنك المتوقد [.....] تدخلكَ أدهشني فعلاً وأضحكني". فردّ المنتقد: "أردت أن أرشدك إلى ما تقعين فيه من أخطاء ترجماتك مثل ترجمتك الأخيرة المؤَسفة لنصوص الشاعر إيمي سيزير، أما الأخرى لآرثر رامبو فإنّها تجلب المذلّة. حاولي أن تتعلمي من أخطائك، ولا تتكلمي بهذه العنجهية التي لا تخلو من ثرثرة وهذيان". ليتدخل طرف ثالث مقترحاً، كأنه الشاهد الأخير على المعرفة البشرية، طالباً إرسال النص الأصلي إليه.

تدخل كاتب هذه السطور بالقول "إن السجال حول مفردة (sens) مثال جيد على "نظرية التأويل" التي هي جوهر عملية الترجمة: لقد اجتهدتْ السخيري مثلما اجتهد محمد بنيس في ترجمة المفردة الواردة في سياق محدّد. لا مكان إذن لتجهيل أحد أو اتهامه بالنعوت القاسية كما يجري عادة في ثقافتنا العربية حيث يعتبر البعض أنفسهم، مثل السلفيين والأصوليين في حقل آخر، حُرّاس الحقيقة والمعرفة والمرجعيات الوحيدة الأخيرة. هذا السجال سيأخذ منحى محض معرفي من دون تلك النعوت والصفات الشخصية المتوترة، وهو لا يأخذ عادةً. لنلاحظ التالي: أن (البعض يؤمن بنظرية التأويل في الترجمة لكنه لا يحترم المؤوّل) بكسر الواو المشدّدة. وفي هذه النتيجة مغزى لن يفوت على أحد. إنهم يريدون أن يكونوا مرجعيات رمزية زائفة على ما كان "بورديو" يقول". ردَّ المنتقد الأول علينا بأن "هكذا نصائح لا تفيد..".

وليس في الأمر بالطبع من نصائح عندما يتعلق بفكرة مثل نظرية التأويل في الترجمة. لقد كنا في الحقيقة نتفق معه بشأن قرب المفردة (sens) مما نطلق عليه عادة بالمعنى، لكن حماسته لما ظنه الصواب الوحيد الممكن لم تفوِّتنا نحن أيضاً. ودّ تعليقنا، فحسب، التنبيه إلى تدهور لغة السجال وعدم السماح للمبدع- المترجم بالاجتهاد. فعلى الرغم من قرب المفردة المذكورة من (المعنى)، فإننا لا نرى سبباً يدعو إلى اتهام السخيري. لقد اجتهدت السيدة الكريمة. ألا يمكن إذن أن نقول اعتراضاتنا بلغة أخرى أكثر احتراماً لأصول جماليات المخاطبة والسلوك الرفيع، أو ما يطلق عليه بالفرنسية Galanterie (واعترف بأنني في غاية التردد في ترجمة المفردة الإشكالية الأخيرة!)؟. وهنا نقدّم كامل تقديرينا واحترامنا لجهود السيدة والسيد المذكورين ونذكر أن الكلمة الحالية لا تعني شخصيهما الكريمين بحال.

إنه محض مثال عن "الأسلوب" الخطابيّ والاستدلاليّ السائد، لا نعدم أشباهاً له بمستويات عدة، أقلّ أو أكثر تشنجاً أو تذاكياً. فإننا نعثر في سجالات منشورة في الصحافة الورقية والإلكترونية على "صخب وعنف"- إذا استعرنا ترجمة عنوان رواية فوكنر الشهيرة- ونلتقي عادات لسانية متدهورة مما لا يليق بالمادة المعرفية المنقودة على الإطلاق. ألسنةٌ وعاداتٌ لغوية متأصِّلةٌ تكشف لأسباب غامضة عن احتقار للعقل النقدي وتستخف بالمنقودين بأقسى التعابير المنتقاة من قاموس الهجاء العربي. عراقياً تستخدم محكية بلدنا في وصف تلك الألسن صفة عجيبة: (العفطي). ونسارع إلى القول لكي نتحوّل إلى وجهة أقل كآبةً من المَشكلة: إن المفردة عربية فصحى تماماً ولا تنتوي السخرية من أحد. جاء في لسان العرب: "العَفْطُ والعَفيطُ: نَثيرُ الشاء بأنوفها كما يَنْثُرُ الحمار، وفي الصحاح: نثير الضأن، وهي العَفْطةُ. وعَفَطت الضأنُ بأنوفها تَعْفِط عَفْطاً وعَفيطاً، وهو صوت ليس بعُطاس، وقيل: العَفْط والعَفيط عُطاس المَعز، والعافطةُ الماعزة إذا عطست. وعفَط في كلامه يَعْفِط عَفْطاً: تكلم بالعربية فلم يُفْصِح، وقيل: تكلم بكلام لا يُفْهَم. ورجل عَفَّاط وعِفْطيّ: ألكن". وقد قال الإمام علي بن أبي طالب: "دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز".

لو أراد أحد ترجمة الكلمة العربية الفصحى– العراقية المثقلة بجميع الظلال (عِفْطيّ) إلى الفرنسية، فقد يقع على مشكلة التأويل ونظرية التأويل عينها. وسيجد، في الغالب، من يبادر إلى تجهيله، وعدم معرفته بمغزى الكلمة العميق، مستخدماً في نقده لغة "عفطية" تَلْزَمُنا بدائلَ راقية لها.

في الأول من أيلول

عبد الخالق كيطان

لم أكن الأوفر حظاً
لقد اخترت العشرات من النهايات العنيفة
واحدة فقط أحسدني على هدوئها
عدت من الجحيم بحقيبتي الشخصية ومجموعة من الكتب
وفي أول أيلول، قطعت المئات من الكيلومترات
المساحات الأسترالية الشاسعة خضراء تماماً
كلما تلفتّ من حولي عانقتني الحقول
ياه...
مالي أرى الألوان بهذا الوضوح كما لم أر من قبل؟؟؟
×××
تذكرت إيفان◆
عندما قال ذات مرة:
كم أتمنى أن أعبّ كأس الحياة دفعة واحدة
ها أنا أسابق السماء
والطيور الملونة
عائد من الجحيم الذي ذهبت إليه بنفسي ذات يوم.
×××
في الطريق إليّ ثمة الكثير من القصص
لا بأس
لن أقص منها شيئاً الآن
مأخوذ بالطبيعة التي من حولي
أفرّ بسرعتي القصوى ولا أريد المكوث في الفكرة الواحدة
×××
ليست الحياة سوى أغنية قصيرة للغاية
غنيت منها مقطعين حزينين
أريد لمقطعها الثالث بعض الموسيقى الملائمة
بعض الزهور
والكمانات التي تجلب النشوة
×××
هل هذه مرثية حياتي أم مقدمة في التأمل؟؟
كنت على الدوام شاطراً في جلد رأسي
اليوم أريد أن أمسد عليه
وأسهر على راحته
التي ستقودني إلى رأسي أنا
وحدي
×××

عائد من الجحيم لكي أنسى
لن أحدث السكارى بعد الآن عن ليل لا ينتهي
ولن أصغي إلى طبيبي الذي يؤكد لي في كل زيارة بأن الحياة
لن تتوقف
حر وطليق
يا له من حلم
×××
شارع طويل لا يمكن حتى تخيله
سأنتهي منه ببسالة
وعندما أصل
سأشعل شمعة
ومع القليل من الهدوء سأنام بعمق
×××
وداعاً أيتها الموسيقى الجنائزية التي كنت أحتفي
وداعاً أيها النائم بجوار الغرفة
أيها النبيل الذي يبحث في أكوام الملابس
فرّت الحمامات
وها أنت ترى أسرابها تشاطرك السفر
×××
سدني في٢٠٠٨/٩/٣

◆ أحد أبطال الأخوة كرامازوف.